

مخطوطات وطبوع

تاريخ اليمقوبي

مجلدان في ٩٤٠ من طبع بمطبعة بريل في ليدن سنة ١٨٨٣

من جملة الكتب العربية التي نشرها الاستاذ هوتسما أحد علماء المشرقيات هذا السفر النفيس لابن واضح من اهل القرن الثالث للهجرة وقد عني بطبعه عنابة اخوانه المستغنين باحياء آثار المشرق الاسلامي فجاء وافيًا بالرأى سادًا ثغرة مبهمة في تاريخ الاسلام وقد وثقه باختلاف النسخ وشفعه بفهرس لاسماء الرجال وفهرس باسماء البلدان التي ورد ذكرها في متن الكتاب ليتيسر الانتفاع به على الطالب في الحال . والنسخة التي غفر بها الناشر ناقصة من اولها وفيها نقص من بعض قصورها لا يحول دون الانتفاع منها بدأ فيها المؤلف بذكر شيث بن آدم وبعد ان ذكر على عادة اكثر مؤرخي العرب تاريخ الانبياء تعرض للكلام على ملوك الامراتيين وملوك الموصل وبنو كس وملوك بابل والهند واليونانيين والروم وفارس وملوك الجربي والصين ومصر من التبت والبربر والافارقة والحبشة والسودان ومملكة الحبشة وملوك اليمن وملوك الشام وملوك الحيرة من اليمن وحرب كندة وادبان العرب وحكامهم وازلامهم وشعرائهم واسواقهم وبهذا ينتهي المجلد الاول ويبدأ المجلد الثاني بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام وتاريخ الاسلام وخلفائه الى ايام احمد المعتضد على الله بعبارة سهلة موجزة . واليك مثالين من الكتاب تعرف بهما طريقة ابن واضح قال في اسوان العرب :

« كانت اسواق العرب عشرة اسواق يجتمعون بها في تجارتهم ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على دماثهم واموالهم فمنها دومة الجندل يقوم في شهر ربيع الاول وروساؤها غسان وكلب ابي الحيين غلب قام ثم المنقر بهجر يقوم سوقها في جمادى الاولى تقوم بها بنو تميم رعط المنذر بن ساوى ثم صحار يقوم في رجب في اول يوم من رجب ولا يحتاج فيها الى خفارة ثم يرتحلون من صحار الى ربا يعشرهم فيها الجاندي وآل الجاندي ثم سوق الشحر شحر مهرة فيقوم سوقها تحت ظل الجبل الذي عليه فرهود النبي ولم تكن بها خفارة وكانت مهرة تقوم بها ثم سوق عدن يقوم في اول يوم من شهر رمضان يعشرهم بها الاثاء ومنها كان يحمل الطيب الى سائر الاقاني ثم سوق

صنعا يقوم في النصف من شهر رمضان يعشرهم بها الالبناء ثم سوق الراية بجحرموت ولم يكن يصل اليها الا بخفارة لانها لم تكن ارض مملكة وكان من عز فيها بزوكات كندة تخفر فيها ثم سوق عكاظ بالي نجد يقوم في ذي القعدة وينزلها فريش وصائر العرب الا ان اكثرها مضر وبها كانت مفاخرة العرب وحملاتهم ومهادناتهم ثم سوق ذي الحجاز وكانت ترتحل من سوق عكاظ وسوق ذي الحجاز الى مكة لحجهم وكان في العرب قوم يستقون المظالم اذا حضروا هذه الاسواق فسموا المحليين وكانت فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لتعصبة المظلوم والنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الدادة المحرمين فاما المحليون فكانوا قبائل من اسد وطى وبني بكر بن عبدمناة ابن كنانة وقوم من بني عامر بن صعصعة واما الدادة المحرمون فكانوا من بني عمرو بن قحيم وبني حنظلة بن زيد مناة وقوم من هذيل وقوم من بني شيبان وقوم من بني كلب بن وبرة فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس وكان العرب جميعا بين هؤلاء تضع اسلحتها في الاشهر الحرم . . . وكانت العرب تحضر سوق عكاظ وعلى وجوهها البراق فيقال ان اول عربي كشف قتاعه ظريف بن غنم العنبري ففعلت العرب مثل فعله .

اما المثال الثاني فتقبس منه بعض الجلل فقط دلالة على حرية المؤلف وردا على من يقول ان مؤرخي بني العباس اضطرتهم السياسة ان يحملوا على بني أمية ارضا لبني هاشم مع ان من اولئك المؤرخين من طعنوا الطعن المبرح بالعباسيين انفسهم وهم معاصرون لهم كل ذلك بفضل الحرية التي تمتع بها العلم في القرون الاولى لبني العباس قال المؤلف بعد ان ذكر طرفا من سيرة المتوكل على ما هي معروفة ومن قبض عليهم واستنصف اموالهم من عماله . وفي هذه السنة امر المتوكل بلبس اهل الذمة الطيالة العالية وركوبهم البغال والحمير يركب الخشب والسروج التي فيها الاكرو ولا يركبون الخيل والبراذين وان يصيروا على ابوابهم خشبا فيها صور الشياطين . وقال : وامر المتوكل في هذا الوقت ان لا يستعان باحد من اهل الذمة في شيء من عمل السلطان وان تهدم الكنائس والبيع المحدثه ومنعوا من العبارة وكتب بذلك الى الآفاق . ولعل ادعا المتوكل الى تشديد الوطأة على اهل الذمة الانتقام منهم عما كان يأتيه ملوك الروم من غزو الاطراف فقد ذكر ابن واضح في ترجمة المتوكل ايضا انه لما وجه عتبة بن اسحاق الضبي لم يتم فيها الا شهرين حتى اتاقت الروم على دمياط في خمسة وثلاثين مراكبا فقتلوا خلقا من المسلمين

واحرقوا الفأر وبمائة منزل وسبوا من المسلمات الفأر ومائة امرأة وعشرين امرأة ومن نساء التبط الف امرأة ومن اليهود مائة امرأة واخذ السلاح الذي كان بدمياط والسقط وتهارب الناس ففرق في البحر نحو الفين واقاموا يومين وليثين ثم انصرفوا . ومع هذا وجه « طافية الروم » برسل وهدايا وكانت يسيرة فبعث اليه باضعافها .

وترى من خلال السطور ان المؤرخ يكاد يصرح بسوء حالة المتوكل خصوصاً في سخطه على بعض عماله وتعذيبهم ومما قاله فيه : وبني المتوكل قصوراً انفق عليها أموالاً عظيمة منها الشام والعروس والشبذاز والهديع والغريب والبرج وانفق على البرج الف الف وسبعمائة الف دينار . قال وعزم المتوكل على المسير الى دمشق ووصف له برد هوائها وكان محروراً فكتب الى محمد بن احمد بن مدير يأمره باتخاذ القصور واعداد المنازل وكتب في اصلاح الطريق واقامة المنازل والمرافد وصار من سر من رأى يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة سنة ٢٤٣ ونزل دمشق يوم الاربعاء لثلاث بقين من صفر سنة ٣٤٤ فنزل تلك القصور فاقام ثمانية وثلاثين يوماً وبلغه عن بعض الموالي من الاتراك امر كرهه فخص عن دمشق الى العراق ولم يسافر في ولايته غير هذه السفرة الا في تزفة ولم ير في سفرته هذه شيئاً ولا نظر في مصلحة احد واصابت الشام كله زلازل حتى ذهبت اللاذقية وجبله ومات عالم من الناس حتى خرج الناس الى الصحراء واسلموا منازلهم وما فيها وانصل ذلك شهراً من سنة ٢٤٥ وانتقل المتوكل الى موضع يقال له الماحوزة على ثلاثة فراسخ من قصر سر من رأى وبني هناك مدينة سماها الجعفرية وحفر فيها نهراً من القاطول ونقل الكتاب والدارين والناس كافة اليها وبني فيها قصراً لم يسمع بمثله وذلك في المحرم سنة ٢٤٦

ومما رواه المؤلف في سيرة المأمون وحريته وعلمه ان بشر بن الوليد الكندي قاضيه ببغداد كان قد ضرب رجلاً قرف يائه شتم ابا بكر وعمر وامانه على حمل فلما قدم المأمون (بغداد وكان متغيباً عنها في الشام) احضر الفقهاء فقال اني قد نظرت في قضيتك يا بشر فوجدتك قد اخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة ثم اقبل على الفقهاء فقال : اقيمكم من وقف على هذا قالوا وما ذاك يا امير المؤمنين فقال : يا بشر بما اقت الحد على هذا الرجل قال : بستم ابي بكر وعمر قال : حضرك خصومه قال : لا قال : فوكلك قال : لا قال : قلناكم ان يقم حد القرعة بغير حضور خصم قال : لا قال : وكنت تأمن ان يهب بعض القوم حصته فيبطل الحد قال : لا قال : فاما كافران ام مسلمان قال : بل

كافرتان قال : فيقام في الكافرة حد المسلمة قال : لا قال : فبهك فعلت هذا بما يجب
لأبي بكر وعمر من الحق افيشهد عندك شاهدا عدل قال : قد زكي احدهما قال : فيقام
الحد بغير شاهدين عدلين قال : لا قال : ثم أفت الحد في رمضان فالحدود تقام في شهر
رمضان قال : لا قال ثم جلده وهو قائم فالحدود يقام قال : لا قال : ثم شجته بين
العقابين فالحدود يشيع قال : لا قال : ثم جلده عريان فالحدود يعرى قال : لا قال ثم حملته
على جمل فاطفته فالحدود يطاف به قال : لا قال : ثم حبسته بعد ان افت عليه الحد
فالحدود يحبس بعد الحد قال : لا قال : لا يراي الله ابوه بائثك وشاركك في جرمك
خذوا عنه ثيابه واحضروا الحدود ليأخذ حقه منه فقال له من حضر من الفقهاء : الحمد
لله الذي جعلك عاملاً بمحقوقه عارفاً باحكامه نقول الحق وعمل به وتأمر بالعدل وتؤدب
من رغب عنه ان هذا يا امير المؤمنين حاكم اجتهد في رأيه فإخطأ فلا تنفض به الحكم
وتتشك به القضاء فامر به فحبس في داره حتى مات اه .

والكتاب كله فوائد غزيرة يشف عن علم صاحبه ونأشره فيما حبذا لو صححت العزائم
في الشرق لاعادة طبعه على صورة احسن تسهيلاً لاقتنائه لان معظم الكتب التي
نشرها علماء المشرقيات قصدوا بها فائدة بلادهم او فكراً خاصاً لهم ولذلك يقللون من
النسخ المطبوعة منها ما أمكن بحيث يتعذر على ابن الشرق اتياعها لغلاء اثمانها بالنسبة
لما ألف من رخص الكتب في بلاده وكثيراً ما يتطلبها فلا يظفر منها بذخعة لانها
تنفد في مدة قليلة ولا يصل خبرها الى الشرق الا وتكون قد نفدت او كادت .

تقويم البلدان

قلنا غير ما مر ان علماء المشرقيات من الفرنسيين قصروا في العهد الاخير عن
الحاق برصفائهم من الالمان وان ما ينشرونه اليوم من الكتب العربية دون ما كانت
اسلافهم ينشرونه في النصف الاول من القرن التاسع عشر وكتاب تقويم البلدان
تأليف السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسمعيل صاحب حماة اكبر شاهد على صحة
هذا القول فقد طبعه في باريز بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٤٠ الميسور بنود
والبارون ديميلان بمناظرة سلفستر دي سامي شيخ المستشرقين في فرنسا الذي افضل
كثيراً على العرب والعربية بما نشره من آثار السلف

وتقويم البلدان في الجغرافية العامة كما يفهم من اسمه عظيم الفائدة من وجوه أقلها ان
المؤلف كان من بعد الطبقة الراقية بين علماء القرن الثامن مدقق في كل ما خطته يده من

الصفحات فهو في ملوك الطوائف المتأخرين بعلمه وفضله بمنزلة المأمون من خلفاء العباسيين .

غفر الناشر ان من كتابه هذا بنسخة صححت على المؤلف وكتب عليها بقلمه بعض التعليقات او هي نسخة المؤلف فخامت والعناية قد بذلت بها من اصح ما طبع علماء المشرقيات

اعتمد المؤلف على ما كتبه ابن حوقل والادريسي وابن سعيد وعلى كتابي العزيزي والاقباب ونقل عنهم حتى في جغرافية بلادهم وكان ابو الفدا طائف سورية ومصر وقسماً من بلاد العرب من الحجاز وبلغ الفرات فقد كلامه ثقة فيما كتبه والغالب انه تعهد بعلي بن موسى في تقسيماته الجغرافية قال في مقدمته : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله حمداً يليق بجلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وبعد فاني طالع الكتب المؤلفة في البلاد ونواحي الارض من الجبال والبحار وغيرها فلم اجد فيها كتاباً موفياً بفرضي فن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفن كتاب ابن حوقل وهو كتاب مطول ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً غير انه لم يسطر الاسماء وكذلك لم يذكر الاطوال ولا العروض فصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ومع ذلك لا تحصل به فائدة تامة وكتاب الشريف الادريسي في المسالك والممالك وكتاب ابن خرداذبة وغيرها وجميعهم حذوا حذو ابن حوقل سيفقد التعرض الى تحقيق الاسماء والاطوال والعروض واما الزيجات والكتب المؤلفة في الاطوال والعروض فانها عربية عن تحقيق الاسماء ومن ذكر صفات المدن واما الكتب المؤلفة في تصحيح الاسماء وضبطها مثل كتاب الانساب للسماعي والمشارك لياقوت الحموي وكتاب مزيل الارتباب عن مشبه الانساب الفيلس كلامه لابي المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلاني فانها اشتملت على ضبط الاسماء وتحقيقها من غير تعرض الى الاطوال والعروض ومع الجهل بالاطوال والعروض يجمل سميت ذلك البلد فلا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ولا الجنوبي ولا الشمالي

ولما وقفنا على ذلك وتأملناه جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في الكتب المذكورة من غير ان ندعي الاحاطة بجميع البلاد او بقاها فان ذلك امر لا مطمع في الاحاطة به فان جميع الكتب المؤلفة في هذا الفن لا تشتمل الا على القليل الى الغاية فان اقليم الصين مع عظمتها وكثرة مدنها لم يقع اليها من اخباره الا الشاذ النادر ومع ذلك غير محقق وكذلك بلاد البلغار وبلاد الجرجس وبلاد الروس وبلاد السرب وبلاد

الأول (الأولاح) وبلاد الفرنج من الخليج القسطنطيني الى البحر المحيط الغربي فانها بلاد كثيرة وممالك عظيمة متسعة الى الغاية ومع ذلك فان اسماء مدنها واحواها مجبولة عندنا لم يذكر منها الا القليل النادر وكذلك بلاد السودان في جهة الجنوب فانها ايضا بلاد كثيرة لجنوس مختلفة من الحبش والزينج والتوبة والتكرور والزيبل وغيرهم فانه لم يقع اليينا من اخبار بلادهم الا القليل النادر وغالب كتب المسالك والممالك انما حققوا بلاد الاسلام ومع ذلك فلم يحصوها عن آخرها ولكن كما قيل ما لم يعلم كله لا يترك كله فان العلم ببعض خير من الجهل بالكل وقد جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في كتب عديدة على ما صنف عليه ان شاء الله عند ذكرها وحذونا في تأليفه حذو ابن جرولة في كتاب تقويم الابدان في الطب وسمينا كتابنا هذا تقويم البلدان ١٠

بدا المؤلف بذكر الارض والاقليم السبعة والابحار والاطوال والخلجان والبحيرات والانهار والجبال قال في الكلام على ترتيب كتابه : اما ترتيبه فانه مجدول على وضع التقاويم وقد ذكرنا فيه الاقليم الحقيقي والاقليم العربي في يمين والاراد بالاقليم الحقيقي احد الاقاليم السبعة المتقدم ذكرها والعربي كل ناحية او مملكة تشتمل على عدة كثيرة من الاماكن والبلاد مثل الشام والعراق وغيرها . قال وقد جعلنا في الجدول بيتا لضبط الاسماء فان في هذه الاسامي اسماء الجمعية لا يهتدى اليها بغير ضبط وكذلك في الاسماء المشهورة اسماء قد غيرتها العامة تارة بتغيير الفحة الى الكسرة او الفحة وبالعكس وتارة بزيادة الحروف في الكلمة وتارة بالنقص مثل ما يقولون في تبريز توريز وتستر شستر ومثل ما يقولون تدمر بضم التاء وهي بالفتح فلذلك احتجنا الى ضبط الاسماء وذكرنا في الهامش من فوق وتحت كلاما على ذلك الاقليم وتحديد ذكرك بعض مسافاته ونحو ذلك واما ترتيب الاماكن وتقدير بعضها على بعض في الذكر فانه امر لم يتهيأ لنا فيه ترتيب يرضينا فنبعنا فيه ابن حوقل وابتدأنا بجزيرة العرب لكون بيت الله الحرام وقبر نبيه عليه افضل الصلاة والسلام فيها .

ومع ان مؤلفنا اعتذر بتعذر الوصول الى اخبار بلاد الافرنج فقد ذكر منها جملة صالحة فذكر منها مملكة بولية على بحر الروم عند فم جون البنادقة من غربيه وهي تقابل مملكة الباسيلية التي من البر الآخر وملك بولية كان يقال له في زمانه الريدشار وذكر بلاد فلورية والمر (المورة) والمغبوط وفرنس والنسقاله (ايطاليا) واسنبري والروس وفرنسة والمانية وذكر مدينة باريز فقال : مدينة بريس قاعدة فرنسا وهي ثلاث قطع

كما هي مدينة الباب فالوسطى التي في الجزيرة لفرنسيس سلطان الفرنج والجنوبية للهند
والشمالية لسائر قوامهم وتجارهم ورعيتههم وذكر عن ابن سعيد بلاد الباشقرد وهم
ترك جاوروا اللبانيين على عهد متواتق وهم مسلمون من جهة فقيه تركاني نصرهم بشرائع
الاسلام واكثر عمارتهم على نهر دوما وعلى جنوبيه قاعدتهم قرات وهي مما دخله النهر
وغربوه واهلكوا اهلهم وفي شرقيها بلاد الصنقر (المجر) اخوة الباشقرد تنصروا والمجاورة
اللبانيين ولهم مدائن وعمار على النهر الكبير مستعجمة وقاعدتهم مدينة تربوا وذكر بلاد
التبردية وجنوة وبيزة والبندقية ورومية وبرشان (قاعدة امة البرجان) قال فيهم
وكان لهم شهرة وبأس في قديم الزمان فاستولت عليهم الالمانية وبادوهم حتى لم يبق
منهم احد ولا بقي لهم اثر وذكر مدن اثينية وقسطنطينية وتسمى بوزنطيا وماقدونية
وصقبي وايزو وطرنو وبلاد (بلغار) وطلوزة قال ابن سعيد وفي شرقي بردال مدينة
طلوزة يقال ان صاحبها الفرنجي في الجبال التي في شماليه وشرقيه ما ينيف على الف حصن
وهو قريب من صاحب فرسة والنهر في جنوبها يصعد منه مراكب البحر المحيط اليها
بالقصدير والنحاس اللذان يجلبان من جزيرة انكسورة وجزيرة ارلندة وتحمل على الظهر
الى نربونة ومنها تحمل في مراكب الفرنج الى الاسكندرية وذكر مدينة مرشيلية ومدينة
سبقلوا في شمالي جبل جرواسيا قال فيها نقلا عن ابن سعيد انه يصنع فيها السيوف
الالمانية المشهورة ولها معدن حديد يجلبها ويقال ان في مكان منه معدن حديد مسموم
يصنع منه السيوف والخناجر لا يبيع الملوكة اكتسابها لغيرهم وفي شرقيها وممت عرضها
مدينة نفصين (حصن ؟) وهي مخصصة للماء المانية وحكائهم وذكر عراز ولوشيرة
وسينقو ومشقة وبرغادما ومن هذه المدن ما دثر الآن او تغير اسمه .

وقصارى القول ان كتاب ابي الفدا من اصدق كتب الجغرافية العربية التي ألقت
في القرون الوسطى وكأنها ألقت في هذا القرن لم يفض صاحبها الا فيما علم فكان حجة
ثباتا في كل ما روى تكاد لا تقرأ له خرافة ينكرها طبعك وثنا في ارتقاء العصر الحاضر
فياحبذا لو صحت همه احد لطبعه فان نسخه فقدت ولا تكاد توجد الا في مكاتب
الخاصة ودور الكتب العامة

